

## مصادر اللغة العربية وتاريخها

### ١ - في العهد العباسي

اللغة لسان الأمة الناطق والمناية بها ضرورية ، نستدعي بذل الجهد اللازم في سبيل تنظيمها وترتيبها بمرضها على الأقطار . والأخذ بها للاستفادة ولا تزال الأمم المتحضرة باللغة الذروة في إتقان التدوين وحسن العرض وادخال التجديد المتوالي بلا هوادة ولا تأخر بحيث اكتسبت وضماً يكاد يكون ثابتاً ، وإن كانت لا تعرف هوادة ولا وقوراً في طريق الإصلاح . وهذا هو الشأن العظيم في العناية .

وتعد من أهم فروع ( الأدب العربي ) ، ولها صفحة وافية من التاريخ لا يصح إغفالها بوجه . ولعل في تاريخها عبرة لمعرفة التطور ، والاتصال بعمل الأزمنة لتكاملها فقد بلغت في المآجيم الاهتمام العظيم ، والمؤلفات الخالدة الأخرى ، فكانت من أكبر الأدوات على هذه المكانة وقيمتها العلمية والأدبية بل إن إهمال ذلك جعل ( بالجزء التاريخي ) وتضييع لعمل الأمة في عصور عديدة مما يفيدنا كثيراً ، وإشاعة للإصلاح بتحقيق المطالب التي أشعلت الأفكار مدة وأنتجت ثروة لغوية لا تقدر قيمتها فكان جمعها وعرضها للاستفادة ، وبأكمل وجه ومراعاة ما هي بحاجة إليه ... ضرورة لازمة قطعاً .

وليس لنا من الراجع المعروفة مما يسعى به ( تاريخ اللغة العربية ) فلو جود لا يسمن ولا ينفي من جوع . فما هي مساجعتنا أو مصادر بحثنا ؟ وهل حرمتنا هذه الآثار لتكون من القلة بهذه المكانة ؟ أو هل إن الأمة لم تعمل بما يتخذ الثقافة اللغوية من آثار لترجع إليها ؟ وتستقي منها ؟

ذلك ما يدعو للإلتفات والأخذ به . ولعل غالب من بحث لم يأت من طريق التاريخ ، فهو المرجع المهم جداً إلى هذه المعرفة ، والوسيلة للاتصال باللغة . وإذا كنا لم نستطع أن نمدّ تاريخاً أو تواريخ بهذا الاسم ، فقد رأينا مؤلفات عديدة سالحة أن تكون مراجع مهمة ، ومصادر فريضة للأخذ بهذا التاريخ وتدوينه . وبوسعنا أن نمدّ جملة منها ، بل مقداراً وافراً . والأدب العربي واللغة العربية لا يتوضح أمرها إلا من هذه الطريقة . ولا تزال الأسم ماشية عليها .

وهذه ليست في موضوع واحد ليتيسر سرد مصادرها أو الإتيان بها جملة وإنما ترى مطالب عديدة استوعبت هذه المصادر ، فتحما ما يتعرض للنويين القائمين ومنها ما يتعرض للمؤلفات الخاصة باللغة ، ومنها ما يتناول مادة اللغة وتوالي ظهور الآثار فيها ، ولا شك أن المهم لنا أن نعين ما هو أكثر أهمية ، وأجل في المطالب العامة . ولا ننقل أن اللغة مشتركة هي ومصادر الأدب في بعض وتفترق في البعض الآخر .

النويين ومصادر تاريخهم :

هؤلاء تكلم فيهم جماعة في ( كتب الطبقات ) . وقالب هؤلاء نحويون ، أو أدباء فلم يفصلوا بين الواحد والآخر ، ولا أفردوا اللغة بموضوع خاص للتعريف برجالها ، وكان العرب في المهود العباسية تناولوا مطالب فيهم :

( ١ ) زهرة الألبان في طبقات الأدبا . لابن الأيساري . ولم يقصر في هذا الكتاب الكلام على الأدباء ، وإنما ترى فيه لنويين هديدين . والملازمة دعت للبحث ، وأكدت العلاقة ، والعرب لم يفرقوا بين النحوي ، واللغوي ، والأديب من جراء الاتصال المشهود . وربما شمل ( الأدب ) الكل على خلاف ما ترى اليوم من أن الأدباء يفصلون اللغويين عن الأدباء ، ويقصرون الأدب على ( المنظوم والنثر ) . والبحث في استخلاص اللغة من المنظوم والنثر ، أو النحو منها لا يمدّ عملاً أدبياً . ومثلهم البليغ الذي يبصر بضروب البيان وهذا لا يعتبرونه أدبياً .

## مصادر اللغة العربية وتاريخها

٢) معجم الأدباء . لسائقون الحوري . وهو مشهور معروف . وفي أيام الحوري وابن الأثير ومن قبلها ظهرت آثار عديدة جاء ذكرها في تواريخ لا تحصى . وكتاب المعجم هذا لم يقتصر على عصر بعينه ، بل ذكر المشاهير إلى أيامه ، وأوضح عنهم كثيراً . ويصح أن يستخلص منه جملة .

٣) بنية الوفاة . للسيوطي . ولا يخفى من التمرض للفنيين لما يخص المورد العباسية بل لم يترك المشاهير من هذا العهد ، ولم يقتصر على من في العراق ، فكان عاماً ، وصالحاً أن يكون من أجل المصادر التاريخية لما يهم موضوعنا .

وهناك مؤلفات أخرى دخلت في عداد هذه لم نبق حاجة إلى إيرادها ومن المصادر ما يتناول نفس ( كتب اللغة ) ، وتاريخ ظهورها بالثوالي . وهذه ذات علاقة بكتب الطبقات فلا تهمل سلتها ، ولا تنسى مكانها . وكثرة المؤلفات تحتاج إلى ترتيب وتشكون منها مواضيع عديدة ، نمدت من مباحث ( التاريخ الأدبي ) تارة إلا أنها في الوقت نفسه من أجل مصادر المباحث في اللغة وتاريخها .

وبين هذه ما يتناول ( المعاجم ) ، أو ( الرسائل التعليمية ) ، أو ( المؤلفات العامة ) في خصائص اللغة وفي مطالب خاصة . جاءت كلها مجموعة فتعين تاريخ اللغة . وهكذا لا يهمل أمرها ، بل من المهم جداً البحث في كل مطلب منها بخصوصه ، وأن نراعي تاريخ ذلك . ومن ثم تشكون لنا المباحث وتطورها حتى نأتي بها إلى آخرها .

ومراجع أخرى تتعلق :

- ١ - بقریب القرآن الکریم .
- ٢ - بقریب الحدیث الشریف .
- ٣ - بقریب اللغة بوجه عام .
- ٤ - شروح الدواوين . وهذه كثيرة وتوضح التمدد اللغوي .

٥ - الأمازيغ والمجاميع الأدبية .

٦ - كتب التفسير .

٧ - شروح كتب الحديث .

وكل هذه تهم اللغة وتاريخها ، وصلاتها بنسبها ، وما إلى ذلك مما أدى إلى اشتغال صحيح ، ومن ثم نراه الآثار فننظر كيف تكاثرت وكيف أمكن تنظيمها لتتيسر لنا منها مجموعات عظيمة . ومثل هذه المراجع لا تهمل بوجه . ولا يصح أن تترك وشأنها . والبحث في ترتيبها وهذا يتبين منه تاريخ اللغة .

وهكذا يقال في المصادر مما يتعلق :

١ - بالمعربات .

٢ - بالمصطلحات اللغوية والأدبية .

وهذه تشمل مباحث مهم أمرها كثيراً ، وتدعو للإقتفات . ولا يصح إجمالها بوجه . ولا شك أن الاشتغال في هذه والتعرف لتاريخها يؤدي إلى سد ثغرة في اللغة لا يصح التغافل عنها ، أو عدم المبالاة بها بل إن ذكرها بمجلد صفحة عظيمة من تاريخ لغتنا ، ويمين مجاري الاشتغال بها في موضوع لا تزال مجامعنا العلمية تكدر فيه ، وربما قصرت موضوعها عليه ، فاهتمت به الاهتمام كله .

وعلى كل حال نرى ( تاريخ اللغة ) في المدونات بدأ في أول الدولة العباسية ، وتوالى الآثار وهذه في تدقيتها ، وفي مراجعة طبقات اللغويين ، وتطورات اللغة كما نلهمه تلك الآثار ، تؤدي الغرض المطلوب من ( تاريخ اللغة ) .

أوضح هذا ما أقول : إن العاجم تطورت كثيراً في مادتها من قلة وكثرة ، وفي الترتيب ، وفي التقسيم اللغوي ، واستدراك ما فات ... كل هذه تستدعي البحث وتتطلب المعرفة في التنكاسل والتجدد . فإذا أخذنا صحاح الجوهري وجدناه إسلاماً لما تقدمه فنال رغبة كبيرة ، وحصلت في أوامم آخذة العلماء بها وجرت مادة إلى مباحث علمية ، فظهرت بمدة

## مصادر اللغة العربية وتاريخها

معاجم ، وجل ما عرفنا ( كتب الصاغاني ) ، والتفسير والتكميل ، ومن أجلها ( نكحة الصحاح ) فانهى المهدي العباسي بمسوره ، ورأينا التحول كبيراً . وكان الصاغاني من أكابر رجال آخر العهد العباسي .

وهكذا يقال في ( غريب القرآن الكريم ) ، ومثله ( غريب الحديث ) ، وهكذا ( غريب اللغة ) في آثار تناولها العلماء بالبحث ، والتعديل والاصلاح فتكاملت حتى دخلت معاجم اللغة وتكونت منها مادتها أو أضيفت الى ما هو معروف . فشكل هذه تحتاج الى أن يتألف منها ومن غيرها ( تاريخ اللغة ) ، وحوادث إعادة النظر في مدوناتها . فجاءت هذه التواريخ مهمة في تطور اللغة ...

ونرى غير هذا مباحث ( للمعربات ) تناولها كثيرون ، وذكروا مفرداتها ، وعينوا ان هذا اللفظ غير عربي ، أو انه معرب لما كان قبل الاسلام وبعده ، فكانت المباحث كثيرة الا ان الجواليقي جاء باحصاء نوعاً في كتابه ( المعرب ) ، ورب السكيات على التوالي ، ولكننا نعلم ان الجواليقي وقف الى حدود تاريخ تأليفه . وربما فاته الكثير لما قبل أياه ، ولمعهه أيضاً ، فلم يصدق ثانياً وان تمام التجربة ، وان اللغة دخلتها بعد ذلك ألفاظ أخرى حتى أواخر العهود العباسية . فهذه لم يتعرض لها العلماء بذكر . جاءت بعده فضلاً عما أغفله ، أو لم يحط به علماً . فكانت هذه في ضرورة ماسة الى التدوين والترتيب كنكحة أو شمة لما ذكر ، ونستدعي التمهيص ، وتوالي الباحث ...

وهذه سواء كتب فيها أو لم يكتب ، فانها تحتاج الى هذا التحديق ، وبيان ما يحتاج فيه الى استدراك ما فات ، وزيادة ما أهمل ، فنرى الضرورة داعية الى المعرفة . فإذا كان وجد تأليف فيها ذكرناه ، والا رجعتنا إلى مصادرنا في جمع ما هنالك وعرضه لأنظار علماءنا .

يضاف الى هذا ان الجواليقي في معرباته لم يتعرض للكثير من المادة التي تدخل في موضوعه ومن أهمها الأعلام من أشخاص ، ومواطن وما مائل في حين ان كتب اللغة مشحونة بما

## عباس المزاري

هندنا من أسكنة وبقاع ، ومن أعلام أشخاص وضبطها ، فأهمل هذه بالرغم من استعمالها وذكرها لا يرتضيه تاريخ اللغة وما دخله من ألفاظ من نوعها . والنقص واضح في مثل هذه الأمور للتبع التاريخي وما يجب مراعاته فيه من تدوين نفس اللغة سواء من جهة النقص في مفردات اللغة ، أو تعيين ما دخل من ألفاظ ، وتعيين تاريخ دخولها .

— ومعاودة اللغة أمر ضروري لا يصح التهاون به بوجه ، والوقوف على كتاب يبيئه جمود ، والعودة أو إعادة التجربة من الأمور الضرورية لمعرفة التاريخ ولمعرفة التكامل للنشود في هذه الأمور .

وهناك ( التصحيف والتحريف ) في تاريخ اللغة وهما من أهمنا معرفته كثيراً ، ولا يصح التساهل فيه ، والأخطا اللغوية في الألفاظ مما تدبر عنه بالتصحيف والتحريف أو التناط والوهم ، مما حدثت في المفردات وفي التراكيب والاستعمالات من نوع ( درة النواص ) وشروحها وما استدرك عليها من تسكئة . وكل هذه موضوعها واسع الأطراف ، ويفيدنا في المعرفة للغة اللغوي ، وفي ما يحقق رغبات المتبع ، ولا يصح السكوت عليه دون بحث ، وهو في الوقت نفسه يمين تبعاتنا في مختلف الأزمان ، ومثله مباحث ( المثلثات ) وغيرها .

وهذا أيضاً صفحة مهمة وعظيمة الفائدة في ( تاريخ اللغة ) ، تدمر اللاتفات وتجميلنا في بقطة مما طرأ على اللغة ، فلم يقبل من كل لدوي ما قال ، ولم تهمل أعماله من كل وجه . وإنما للتسابة للحق الجدير بالأخذ وهو شأن العلم الذي لا اعتبار فيه للشخصيات ، وإنما هو قبول الحقائق الراهنة .

وأما المصطلحات اللغوية فهذه جرى استعمالها في أيام الدولة العباسية ، من حين استعمال الألفاظ الخاصة باللغة كالم ، وبالنعو ، والشمر والبيان وسائر العلوم العربية ولم نستمن بتيرها ، وكأها عربية ، ولم تدع مجالاً لقبول اللفظ الأجنبي ، وإنما استعملت ألفاظاً عربية ، وتوسعت في سانبها من طريقين مراعاة ( المعنى القريب ) ، أو ( ارتجال اللفظ العربي ) للمعنى الغالوب .

## مصادر اللغة العربية وتاريخها

ومن مصادر اللغة ( النقد الأدبي ) ، وهو غير ( النقد اللغوي ) الخاص ألا أنه متصل باللغة وأن النقد الأدبي يتناول استعمال الألفاظ واشتقاقها ، ومحل استعمالها فهو يتعلق بالعلوم العربية وباللغة معاً ، لاسيما البلاغة . وفي هذا ما يمين استعمال الأدباء لهذه اللغة وما يتطرق اليهم من خلال في هذا الاستعمال . ومن ثم نعلم درجة علاقتهم بهذه اللغة .

ومن مصادر اللغة ( كتب الوضع ) ، وتدخل في صميم اللغة ، وهي نظرة عامة في مدلول ألفاظها ، أو علاقة اللفظ بالمعنى من حيث العموم والخصوص إلا أن هذا لم يتوضح في المصود العباسية . بل إن مباحثه استقرت في كتب خاصة لمؤلفين تالين لهذا العهد ، والاهة تدفق تدقيقاً علمياً من هذه الناحية فلا تهمل بوجه .

ولا يريد أن تشوغل في كل المراجع في تعيين تاريخ اللغة بمخايرها وكفى أن ترجع الى ما ذكر . وهذه ليست بالقليلة . وليس الآن محل توسسها . وإنما نرى لسكل موضوع بحته الخاص .

ومن كان جامداً على كتاب بعينه لا يستطيع أن يلتفت إلى شذرات الأمة ويحصد على فكرة منها ويتناول مباحثها بشمول لمثل هذه الأمور ، ولا يقدر أن يتكسر في الاسلح اللغوي ، وقد فقد القوة ، وجرم المعرفة .

وجبل ما نرى ( النقد لكتاب ) من جراء مخالفته لقواعد اللغة ، أو مفرداتها ، أو تراكيبيها ، فمؤلاه ليسوا أكثر من أناس ابتسداً بين مصححون موضوعاً بالرجوع الى مادة اللغة ، أو قواعدها ، فلم يبدعوا في اللغة ، ولم يلتفتوا الى مفيد نافع ، ولا وجهوا توجيهاً حتماً . فهل يبدوا ما قات التدوين في مفردات اللغة للهود العباسية ، أو ما قاب من معربات ، أو ما أغفله القدماء في المصود العباسية من أغلاط أو تصحيحات ، أو ما أهمل من مصطلحات الى آخر ما هنالك . وإنما نحاول أن ندون في الموضوع ما بلغت الأنظار من تصديرات لعلنا نبصر بما خاطبنا به ، فلا يتكرر ...

هذا وأن المعاجم وكتب الطبقات ومادة اللغة كل هذه لا تكفي للتعريف باللغويين وإنما

## عباس الغزاوي

تحتاج الى ادراك تاريخ هؤلاء من اصحاب الآثار اللغوية . ومرجعنا الأخير فيها ( كتيب التاريخ )  
فلا ريب انها الوسيلة الأخيرة لمعرفة هؤلاء . وأزمانهم لادراك التطور .  
وموضوع الطبقات تاريخي . كما أن الاتصال بالتاريخ نفسه للمعرفة لا يخص موضوعاً .  
أما مادة اللغة ، ومعالجتها وسائر آثارها وكتيب ( النقد اللغوي ) كل هذه تدعو للاهتمام ،  
ونستحق النظر وموضوعها داخل ضمن البحوث ، وعند الكلام عليها نحقق أمر علاقتها بالآثار  
التاريخية على اختلاف أنواعها مما له صلة به .  
ومصادر اللغة لما بعد العهد العباسية تدعو الى التيسر أكثر ، ومنها يعرف تطور العصر ،  
وله أهمية في تاريخ اللغة .

### ٢ - في عهد المأمون والتركاه

فإذا تبينت المصادر اللغوية أو المهم منها أيام الدولة العباسية . فلا يكفي هذا أو يعني أن  
نلتبس غيره دون أن نراعي توالي المصور ؟ أو أن اللغة جددت فيها ، فهل وقفنا عند العهد  
العباسية ؟

هذا ما لا أقوله ، بل اللغة العربية كائن حي ، وهي في حياتها مستمرة ، والآفة العربية  
تمتاز في احتفاظها بلنتها ، فلم تبدل كل يوم لغة ، أو تعدل تعديلاً متوالياً حتى تدون ما جرى  
فيها من التعديل التوالي بحيث أخرجها ذلك عن أصلها كما نشاهد في لغات الأمم اللاتينية أو  
الجرمانية أو غيرها . من تركية وفارسية ؟ ويرمينا أن نتناول هذا الموضوع قديمين مصادر اللغة  
فيه لما بعد العهد العباسية حتى العهد العثماني أي من سنة ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م الى سنة  
٩٤١ هـ - ١٥٣٤ م ومصادر لغتنا :

١ - ما كانت عليه اللغة العربية في سابق عهودها ، والمصادر التي عيناها والمباحث التي  
تصلح أن تكون موضوع البحث ، ولا فرق بين المهديين الا في أن هذا الأخير تال للمعهد  
السابق وان نمضي في طريق ذلك .

## مصادر اللغة العربية وتاريخها

٢ - كتب الطبقات والتاريخ . وهذا العهد تهمنا فيه كثيراً هذه المصادر وأن نتعرف رجال الأنسة فيها وما قاموا به من عمل . وطريقتنا أن ننظر في هذا الى عين ما كنا أوردناه وحققناه للمصور السابقة بأن تذكر في هذا العهد ( كتب الطبقات ) . وهذه تشمل ما يخص الموضوع مثل ( البلاغة في تراجم أئمة النحو واللغة ) لفيروز آبادي ، و ( نزهة الألبان ) لابن جماعة ، و ( بنية الوعاة في الامورين والنهضة ) لسبوعي ، وهذه من أجل ما هنالك من مصادر والاخير منها لم يبين المصور مفردة ، ولا الأديوار التاريخية ، فجاء ترتيبه على حروف المعجم يفيد للمراجعة لا للتعريف بالمصور . الا انه عظيم الفائدة . سار سيرة علمية ، راعى فيها جميع الأقطار ، الأمر الذي دعا أن يُلخص ويحذف فلم يتوسع في كل قطر ومع هذا يسمب استخلاص ما يخصنا منه . . . أو أن نتساول المعاصرين من رجال الأقطار الأخرى . ونحن في ملنا لا نريد إلا ما يعود لقطرنا وهو الصق بنا .

وبعض التواريخ في رجال مهم كثيراً ، وهي السامة مثل ( الدرر السائلة في أعيان المائة الثامنة ) لابن حجر المسقلاني و ( الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ) ، أو في غيرها مثل منتخب المختار<sup>(١)</sup> في علماء بغداد تأليف أبي الممالي محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ - ١٣٧٢ م . أو مثل ( غايصة النهاية ) وهذه الأخيرة وإن كانت خاصة بالقراء فهي ترجم الكثيرين من ( علماء اللغة ) ومثلها تاريخ القراء الذهبي ويذكر من عرفوا بالقراءة أو أخذت عنهم من علماء اللغة . وكتاب الدرر الطالع للشوكاني . . . وكل هذه المؤلفات لا تفيدنا الا من ناحية المراجعة . ويقال فيها ما قيل في كتب الطبقات .

وأما ( كتب التاريخ ) فلها بصرت بسكثيرين في التعرف لهم ، والوقوف على تاريخ وفياتهم وملخص تراجمهم . وهذه كثيرة لانعدم طائفة منها . فالاستمارة بها مفيدة جداً ، ولا تخلو من اتصال بالمعرفة من طريقها ولا يصح أن تذكر كمصادر للغة . والصعوبة في مباحث اللغة نفسها الا أن توالي الاشتغال يؤدي الى هذه المعرفة ويسوق الى التدوين فيها .

(١) طبخ في طبعة الاهالي - بغداد سنة ١٩٢٨ م .

وأمر آخر وهو أن نلاحظ ( كتب اللغة ) نفسها ، وما ولدت من أثر جديد في أصل اللغة وفي ( اللغة التعليمية ) ، وفي ( المعاجم ) و ( المؤلفات العامة ) . وهكذا ما يتعلق بـ ( الترتيب ) من لغة الكتاب ، ولغة الحديث ، وغريب اللغة بوجه عام ومثل ذلك ( المربيات ) وما دخل اللغة من ألقاظ ( دخيلة ) ، و ( المصطلحات ) اللغوية وما ظهر منها أوجده ... وتكون مباحثنا في مادة اللغة بصورة كاملة ، ومن جراء ما توجه على القنوين من تصحيف وتحريف ، أو أوهاهم .. وهكذا يظهر ( النقد القنوي ) وهو الذي نتطلبه فيه من علاقة باللغة .

كل هذه ليست الا تكراراً لما سبق بيانه من حيث النهج ، ولكننا اذا راعينا عين الطريقة فاننا نلتصق بها ما حدث من تجديد أو تطور وتحول . وأما لنتنا من كتب أخرى غير ما حدث في عصر سبق ، وان الموضوع واحد الا انه اختلف تلقيه ، وتباين وضعه ، فهو تعديل في الفكرة ، وقدرة في اللغة ، وتوال في الفكرة وزيادة في الثقافة واضافة لما هو المعروف .

واللغة عندنا لم تكن مصادرها ( كتب اللغة ) خاصة ، بل الآثار الأدبية تصليح دوماً للاخذ بل انها الوسيلة الوحيدة لاعادة النظر في المطالب القنوية ، وانحازها أصلاً للبحث والمناقشة ، وبسببها يحصل التعديل في اللغة ، وتوهم السابقين أو تصيرهم فيما ذهبوا اليه ، أو دونوا فيه ، فأمكن مناقشتهم الحساب ، ومراعاة ما عندهم ، أو الحكم لما اختلفوا فيه ببيان الراجع من المرجوح ...

فتكون مصادر هذا المهد أصل الآثار الأدبية ، والمخلفات للعصر السابق ، والتحقق في وجهات النظر ، فظهرت مؤلفات العصر وآثاره ، وبرزت للبيان واضحة .

ومن ثم نرى معاودة النظر في المادة السابقة ومباحثها ، وهكذا ما جرى من ترتيب ، وما زاد فيها من مادة كما هو الشأن في المهود الماضية ، وأمر آخر وهو الجمع بين المواطن والأمكنة ، وغريب الكتاب الكريم وغريب الحديث وما جاء في الرسائل التعليمية والعامة ، فتكون منه موضوع اللغة الجديد ، فأدخلت هذه المطالب في لغتنا ، وزادت فيها ، بل يصح أن تراد ...

وبصعب توضيح كل ما جرى عليه العصر من مادة غزيرة ومن ترتيب وأصول تعليمي في

اللغة بل ان اراده من موضوع أصل المباحث لامن موضوع المصادر وحدها بل أن ، موضوع ( تاريخ لغتنا ) بتفصيله المطلوب ، وحالته المشهورة .

ولا نعدم بعض الأمثلة بل نشاهدتها بارزة في بعض المؤلفات . فهذا ( الفيروز آبادي ) كان معيداً في بغداد مدة طويلة ، في المدرسة النظامية اكتسب في خلالها خبرة ، وتوصل الى معرفة كبيرة ، ورأى كتب اللغة عديدة ، والمراجع لا تحصى كثيرة ، وان من أجملها ( كتب الصاغاني ) الا انها صعبة القتي والتداول ، فرأى أن يلخص كل ( كتب اللغة ) مما وصلت يده اليها ، ويظهرها في معجمه ( محيطه ) ليفني عن تلك المجلدات الضخمة والمديدة التي لا تكفيها أحمال . وكان لهذه الصلة والاختلاط أثرهما الكبير في نشوء الفكرة وتحقيقها ...

أظهر أثره الخالص ، وفيه وهم الصحاح مع اعترافه بفضلها ، ولا ينكر أنه مال الى ما عند الصاغاني فاتخذ مادته ... وهكذا ، ضي في طريقه ، وحاول أن يحيط بكل مادة اللغة من معربات ومصطلحات علمية وكان عليه ان لا يدخلها لانها ليست من اللغة وأدخل أمكنة وبقاعاً ... وهو في الوقت نفسه لم يدخل من نقد وتمحيص . فشكل هذه ليست مما حدث في جهود القول والتركان بل هناك مباحث لغوية أخرى .

وجل أملنا أن تظهر ما حدث من تجديد ، وما جد من مطالب . ولم تر من لغوييننا من أظهر شيئاً من ذلك وقصد طال انتظارنا ، وصعب أمرنا ، ولم يبق إلا أن نتناول الموضوع بأنفسنا .

ومصادر عهدنا كما قلت ( الآثار اللغوية ) . وعلاقتها بالجهود السابقة مشهورة ، وهذه تميز مقدار العمل اللغوي كما في القاموس المحيط ، وكتب ( التهذيب التعليمية ) . وفي هذا العهد ظهرت أوضح ، وأن مؤلفات هذا العهد صارت متممة المصور ، فخدمت السادة التعليمية مثل نظام ( كفاية المتحفظ في اللغة ) للاجدائي ، فجاء استظهارها سهلاً وحفظها يسيراً ، وهكذا ( الأندية في اللغة ) نظمت أسماء الأسماء ...

ولو عددنا ما هناك من آثار . لطال الأمر وعلمنا أنها تجدد في العهد السابق ولكن المطلوب بيان أن مصادرنا في هذا العهد أكثر ما تتناول عليه ( الآثار القنوية ) ومن تدقيقها يظهر التحول والتجدد الذي أحدثته والأمل أن تظهر كل آثار العصر ليكون التدقيق أوسع نطاقاً وأجل معرفة .

ومن هذه الأمثلة يظهر أن مادة العصر قزيرة . ولكن رجال لغتنا يريدون أن تمشي هذه الآثار من أمامهم ، وتأتيهم إلى محل مطالعتهم ، وتقرر لهم ما يكتبون ليقوموا حينئذ بالمهمة .  
اننا في هذه الحالة نريد أن نعلم ( مخرجات العصر ) . وكيف نعلمها ولم نعمل لأحيائها وكيف تكون المعرفة وهي بعيدة عنا ، ولم نبذل أي جهد في جلبها من الخزائن الأخرى التي أمثلها الرغبة الدلية إلى الأقطار ؟

وبهذا حرماننا من رجال أدبنا ، وأصحاب التوجيه فينا وذلك لأمرين :

١ - جلب الآثار البعيدة عنا وهي من مخرجاتنا . وكيف يستطيع معرفتها من كان جاهلاً بها ، وبتاريخ الأدب ، وهل نتطلب من مثل هؤلاء العمل لمثل هذه المنفعة الكبيرة في توسيع نطاق المعرفة القنوية ؟

٢ - أحياء الآثار القنوية . وهذه نحن صفر البدين منها ، فلم نستطع من يتبعج بالتوجيه أن يجي أثراً واحداً ليقال إنه خدم اللغة في توجيهه . وهذا مطلب عسير على من لم تكن له المعرفة التاريخية بالأدب ومجاريه واللغة وأوضاعها .

والأمة تريد أن يظهر نتائج العمل . ولا ننظر إلى الأقوال الفارغة . وأدب الأمة تابع للمعرفة . فالجهل بذلك ، والمجز عن القيام بدعو إلى حرمان الأمة مع انوسا رغبة في هذه المعرفة ، متطلبة لها .

والعمل للتخافة القنوية وغيرها لا يحتاج إلى أدلة ، وأن تاريخ المعرفة يعصر بالمعرفة الحقة وما يتطلبه التجدد الأممي ، فلا ننفل من هذا ولا ذاك .

والعمل جل ما تتطلبه « كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » . قالوا كثيراً ،  
وسمنا أمداً ونحن في حاجة اليوم أن نتطرق بالصواب لخبر الأمة وإن فعل . وإلا فالسكوت خير  
بل يجب أن نكت من لم يتطرق بالصواب ولم يعمل لصالح الأمة ، وقد قال الكتاب الكريم في  
حق كثيرين : ( وإن يقولوا تسمع لقولهم ) بل نريد أن لا نسمع لقولهم .

عباس العزاري المحامي